الورق

فهد بن مشعان بن مرزوق الربابين





الورق

فهد بن مشعان بن مرزوق الربابين



الورق

يمتلك الهم قمم النفس،ويحتل الحزن مكانه ذات قيمة حقيقية في حياته،فلا هو مُنبسط بدرجة نقول عنها معقولة،ولكنه مُتعذب متألم مما في داخلة من مشاكل هي بحد ذاتها نفسية بالمقام الأول،ولهذا لا سبيل إلى البوح بها كُلِها إلا الصريح الهادف إلى نتيجة تخدم النفس وتُعينها على قضاء أمور أخرى،فالاستثارة بشراره، والغضب عند وجود سبب فعلي يدعو إلى ذلك الفعل،ومثلهُ الصداع فهو أحد الأمور التي تُسبب لي الغضب خصوصاً عندما يُكلمُني أحدٌ بطريقة لا أرتاح لها، والصمت علامة ومبدأ ضمن الأولويات التي لجأتُ إليها وذلك عندما رأيتُ قلة الأصحاب وقلة الحديث إلا في الأمور المُلزمة،فسكوتي لفترة هو أحد الأسباب التي تستفيض داخلي من حالة ترفض الوضوح،وتأبى الاعتراف بحقيقتها لا خوفاً ولكن خجلاً،وتجنبٍ بذلك الاستهزاء والسخرية من الآخرين، لم أجد في حياتي قط صديق مخلص وذلك منذ طفولتي إلى هذا السن(الثلاثة والعشرين)، فالحقيقة أني أجد صعوبة بالاعتراف لشخص عن ما في داخلي خصوصاً للأشخاص الذين لا أميل تجاههم بشيء يجعلني أرتاح لهم وائنس بمُجالستهم،فكلامهم عديم،وفهمهم قاصر، ومعرفتهم لا تتعدى مد بصرهم،لذا اخترت الورق لكي أفصح عن ما في نفسي ولكي أُخفف من هذه الضغوطات القاتلة المستعصية على النفس فهي أشبه بسلسة من الهضاب بعضها فوق بعض،فكيف لي أن أتحمّل هذا الثقل والضغط الداعي إلى الكسل والخمول والنفور من كل الأشياء الجميلة،فهو قد خلق ذلك الجو الغائم





بسُحُبه السوداء،ورياحه الغبرة ذات العصف الغاضب،والنسف الفاتك،فالحياة بعد ذلك أقرب إلى التفكير بالانتحار لولا أن هناك مانع داخلي يقول ويُنادي بعدم فعل ذلك،ولكن الفكرة قد جالت في البال،وقد استطردها الخيال فهام بها حتى علم إن الواقع يتطلب الجِد والامتثال،فلا تعزم عليها فإن الحياة بيد الله الذي أمات وأحيى،فلا ولا تفعل وقل إنّ هذا ما اكتسبت يداك وهو بأذن الله في زوال،فلهذا السبب لجأتُ إلى الورق لاعترف لا لأشكو،فالشكوى لذي الجلال،فهي الطبيب لا المُعالج،وهي السفير لا المسافر،وهي الطريق الغير موصل لا الطارق،وهي الحاجة الماسة،والدواء الباعث،والرحلة المنتهية بالفناء،فشكراً للورق وصانع الورق،وشكراً وحمداً لله على الخير والعافية.

لازالت قصتي مع الورق في تجدد،فالبداية سرور وليسَ كل نهاية حزن فلا بد من الحبور حتى في أصعب الأمور،فالورق حاملُ قصتي وقاصُ حكايتي لكل باحث ومُطّلع،فالحقيقة عنوانُ حياتي وبداية كل نبض وسطر من كتاباتي،فأنا لازلتُ أتحدث عن ما في خاطري من ضيقة تدعو إلى الاختناق،وضغط يدعو إلى الجنون لولا الصبر المرتبط بالأمل،فالحياة حلوة وذلك لمن رأى فيها السراء دون الضراءِ وهي قليلة، ولكن من رأى ضرّها وقهرها ونكدها الذي بات يقطّع نياط القلب لولا الأمل، فالظلام لازال يجتاح مناطق النفس لولا النور المنبثق من حبل الوريد،فهو لازال يُدافع ويدفع ذلك الظلام وتلك الثقوب السوداء التي باتت تختفي،هكذا يكون الإنسان الخالي من قوة الإيمان والغير متصل بالرحمن،ذلك ثمر ما سعى إليه وتلك قلبه ونفسه وما مالت إليه،فالزيادة في الإفراط سبيل إلى الموت ثم الحُطمة،فلا مفر منها إلا بأذن الله،ماذا فعل هذا الإنسان بحياته؟ فقط سلب من نفسه الراحة،





وجلب المشقة والعناء والإعياء والوصب والشقاء الضنك،مالكَ قد اختلفت وتصنّعت وجِلتَ فجالت عليك الدوائر،آه كم كانت هذه الحياة شقية ذات لون مُحبط داعي للجنون،آه كم تألمتُ منها لولا الأمل.

لازالت القصة في محورها الأساسي فهي محنة عانى منها إنسان لم يدرك ما هيه، ولكنه عرف بعد ذلك سر هذا التوجع والذي بات يُصاحبُه أسى شديد،كلماته عبّرت عن معنى ما يشعر به ولكن بعض العبارات صاحبها غرابة وبعضاً منها معنى مقصود بذاته قصده القائل لأسباب رآها،فما هذا الميل إلا لإخفاء سره الذي بات ينكشف،فالحقيقة أوضح من أن تكون غامضة نوعاً ما،فالسبيل إلى الوضوح فيها بزيادة غير مسموح لأسباب لا أُحب ذكرها،لذلك سأكتفي بذكر ما يعين النفس على الراحةُ منه،ولهذا ما أجمل الارتياح في حياه خالية من الجراح،فالسعد طريقي الذي أسير نحوه كل يوم لذلك فاجأتني العقبات ونالت مني النوازل لولا وجود العزيمة والمُقاومة،فالورق لازال يحمل كلماتي،ويسمع لها دون أن يسأل لماذا؟ وكيف حصل؟هكذا الورق،الصمت فضلى،والسؤل عن ما لا حاجةَ لكَ به سوء،لذلك كان الورق الحل الأول والأخير،بل هو بيت القصيد الذي أغناني عن الخوض في ذلك،فالاعتراف حقيقة موثقة،وراحة معنوية ونفسية في نفس الوقت،ولهذا السبب أكثرت اعترافاتي لهذه الورق حتى أنّي أوجدت لغة أسميتها(لغة الأسرار) ذات رموز لا أحد يفهمها غيري أنا،كل ذلك خشية معرفة تلك الأسرار التي لا أُحب إن يطّلع عليها أحد،فالحقيقة تجاه الاعتراف أمر حقيقي واجب لأسباب كثيرة جداً، ولهذا عزمت على الاعتراف بصدق،والتكلم عن ما هو سبيل إلى سبب أهم وهذا





تقديم الأهم على المهم،فالورق كتابي الذي ألّفته منذ زمن وعهد لا أصل لوجوده في التاريخ.

لازالت الكلمات تواجه صعوبة في خروجها،وندرة في إثبات تلك الأقاويل الموجبة لتّوكيد المطلق الذي لا يتداخله شك أو ريب أو رأي لا يعنى له بذلك معنى، فالمقصود لازال يجول في خاطري فهو لم يُناشد الخروج ولكن النفس دعة إلى ذلك، فالروح لم تعُد تحتمل ما يُصيبها من أذى هو في الأصل معنوي لكنه جارح وقارص فهو أشبه بذلك الشتاء الذي دخل فجأة على بلد لم ينل من الصيف إلا اليسير، فهو ما زال قابع في تلك الحُجرة ذات الزاوية المُخيفة،والظلام الداعي إلى الاضطراب،فهو أشبه بمن وضعوه في غرفه من أجل العلاج ولكن فاق الداء وضاع العلاج،فدخل في حالة ذات تخيُلات وأقوال واهية لا ترمز إلى الواقعية بشيء ولكنها ذات شيء تُمثله داخله،فقد تكون رغبة في تحقيق بعض ما يجول في ذلك البال المضطرب والغائب عن الواقع،فالأفكار تراكمت على بعضها البعض مما دعا ذلك الفكر إلى الخروج عن الصحة والميل إلى الهاوية أو الموت المؤقت الذي بات ينتظره كل ليلة،فالنفس مرضية وهذا يعنى الخلل في توازنها على المستوى الأدائي والوظيفي،فلم تعُد تتكيف مع واقعها بل باتت تخجل حتى من نفسها وظلها فكيف بها تكون ناجحة بعيدة عن كل تلك الأراجيف التي دعة النفس إلى السوء وارتكاب ما يُثاب عليه دُنيا وآخرة،فالحياة المُملة صارت أتعس من إن تكون فرِحه يسيره،لأن التعاسة أحاطت كل جانب من حواليه فلم يعُد السكون بمفهومه العام ولا الخاص ولكنه بات السكين والرصاصة والسهم والرمح الذي إخراجه مستحيل، فالنهاية واقعة سواء تم ذلك أم لا،فالأمر من منظور الواقع موت لا سبيل إلى



إيقافه،فالروح قد بلغت الحلقوم وخرجت بعد تكابُد الجسد،ولكن ها هي الأمور بدأت تعود وجرى ذلك النهر بعد أن كان متجمد لمدة سنوات،ها هو يسيل بقوة متدفق صافي نوعاً ما من الشوائب التي لوّثت مياهه العذبة وذلك قبل زمن مضى.

اختلطت الأفكار في فكر مملوء بمعلومات متناثرة أشبه بالرمال،فلا هو مرتاح البال ليهدأ حتى تنتظم تلك المعلومات الثائرة بين الوصول إلى المُنتهى أم العودة إلى عهدها السابق،فالكلمات لم تعُد تخرج خوفاً من فلتات اللسان الغفلة،فالحقيقة تقول إن حالة هذا الإنسان في تزايد،فهو لازال يواجه تلك الأفكار والأحلام المُزعجة التي باتت تفزع القلب،وتُذهلُ العقل،وتُشتت تفكيره مما يجعله في حلقة لا يستطيع وقفها أو حتى الإمساك بها،فهو يقطن ذاك المكان الذي تُحيط به الظلمة من كل ناحية،فلا مفر من مسيره،فالظلام جانح وبنفس الوقت إنسان يتصف بالخبث والمكر اللذان ساعدَ على جنونه المؤقت الذي عبّر عنه في كلمات كثيرة من كتاباته،فالأقلام لم تجف بعد فهي لا زالت تخط قوله الصائب والمُذبذب، فلا سبيل لأحدٌ إن يكشف تلك الوجوه التي اعترته،فما زال هذا الشخص يجودُ بكل ما لديه لكي يُقاوم تلك الهجمات التي يقصفها الهم والحزن الذي خيّم عليه دون أذنه،فقد أصبح هذا الإنسان في ضياع دون أن يشعر، لم يكن يعتقد إن الحياة سهلة ولكنه لطالما ظن أنها عِسره لا طائلَ منها،فالفكرة السلبية تجود بذهنه الخالي من الإيجابية والجِدية،فما هو هذا الشخص الذي كان قبل عهد؟،لأنه عاجز لا طاقةَ له بذلك،أفي فؤاده رحمة تجاه نفسه! أفي نفسه عطف ورأفة تجاه هذا الجسد المُتألم الشاكي قلة الاهتمام!والمتوجع من جراح الأنام،هكذا هو هذا الإنسان خارج عن عادة النفس،ناكر فضلها وقدرها،فالآلام برزت وكأنها آثار قتاداً حادة جرحته دون





أن يشعر بها وذلك في ليلة كان فيها نائماً غارقاً في النوم،لا يحسُ شيئاً مما يُلامسه أو يجرحه،فهو أشبه بمن هو ميت ولكنه حي يتنفس ويتحرك ويتكلم ويسمع ولكنه لا يبصر جيداً.

قد تتعجبون من سرد كتاباتي التي أصبحت شبه غريبة وخارجة عن الانضباط،ولهذا السبب بدأت بعض هذه السطور تخرج عن الانسيابية،فقد أمست كشيء لا يوحى بمعنى سارب ولكنه ذا رؤية خافته ومعنى ذا رموز من السهل فكّها،فالحقيقة أجمل من الغموض بكثير،فالأولى دليل يمثل معنى ما ويهدف لتحقيق ووضوح أمور أخرى لها علاقة بأشياء أخرى،والثانية أشبه بعمق البحر لا تكاد تصل إليه بالساهل،فالمراد من ذلك إن بعض تلك الكتابات سهلة وأخرى صعبة لا مغزى منها إلا بفك الشفرة،فالتعبير عن ما يُخالج النفس من اضطرابات وضغوطات إنما هو الإفصاح الذي يكون الدواء المُهدأ لتلك الحالة التي قد تكون هائجة وذلك مما طرأ عليها، فالأمر الذي كان بالأمس صعب أصبح اليوم العذاب الأصعب وذلك بالتخلص منه،فالأمور لا تجرى بسرعة بل لا بد من التريث ومعاملة تلك الحالة معاملة صحيحة قائمة على الالتزام والاهتمام والانضباط المتسم بالصبر والمقاومة المطلقة، فلا هناك داعي للهرب لأن الواقع فاضح ولو أخفيت ذلك أو تلك الأفاعيل،فما تُعاني منه هو في الحقيقة حالة نادرة وذلك لأن الأمر خرج عن الحد الموضوع له، ولهذا فقد أصبحت شيءٍ ذا غرابة نوعاً ما وخصوصاً تجاه المجتمع الذي بات يُحطّم الهمم وينزع الأمن ويغرس الخوف والذل والخضوع،فهو أشبه بزمن لا قانون فيه بل أن من له السلطة بماله يملك كل ما يُريد حتى أغلى الأثمان وهو شرف هذا الإنسان،فالحقيقة قد قالت وتحدثت عن نفسها مراراً تكراراً ولكن هل نحن



متمسكين بهذا الثقل الذي فاق سلاسل الجبال،أن ما ادعوا إليه هو التأمل بكل مقال رويداً ورويداً فلنقرأ بهدوء وسكينة ونتأمل كل معنى هو مقصود بذاته ومُشير إلى ما هو الهادف من ذلك كله،فلم يكن الهدف الإطالة للحشو،ولا الإسهاب لجعل القارئ يمل بل كانت الغاية من ذلك سبيل الأمر الذي يكون القول فيه أخصر لك وأوسع وذلك من حيث المفهوم الذي أوحاه المعنى لك.

مؤسف جداً ما هو عليه،فالأمل الذي كان يُحفّزه هدج فلم يعُد قادراً على القيام بالواجب،حياة هذا الإنسان مليئة بكل ما هو مؤلم لولا أنه يختصر هذه الرسالة بكلام ليسَ كله من داخل هذه النفس بل هو تعبير رمزي مراده التوضيح والتخفيف لكيلا ييأس هذا الإنسان،فالنور الذي بالأمس كان مشرقاً ولا يُضاهيه شيء أصبح اليوم ذلك النفق المظلم ذو الأصوات المُخيفة والرائحة النتنة،فالحياة أشبهُ بشيء ترفعه ما دمت هكذا حتى أنك تخاف عليه من السقوط ثم يسقط ذاك الشيء المُتدلي من فوق فهو إما أن ينكسر وإما أن تكون به رضوض طفيفة تُساعده على العزوم مرةٍ أخرى،فما ينظر إليه هو الواقع الذي لطالما بكى منه وأبكى هذه الورق، فالصورة التي صوّرها عن نفسه مائلة دون تناسق حتى في الألوان،فهو أشبه بمن قُبضَ عليه وسُجن فيعرضونه كل يوم على هذه الشمس التي يغلي منها الماء الراكد، فما بالك بهذا الإنسان،قصيرة هي الحياة لأُفكر في طول ذلك العمر ومالي به وقد شُقيت،لازلتُ أرسم واقعاً أتمناه في حياتي وأراه كل يوم يعرضُ عليّ كفيلم لستُ إلا ممثلاً فيه،آه _ ولكن تلك النوازل التي أصابتني لم تترك شيء إلا وقد جعلته يكره هذه الدنيا،فما أقوله الآن هو ما لا سأقوله غداً،فلعل الله يُبدّل هذه الحال من هذا العذاب إلى ما هو أرحم بهذه المفاصل وفؤادي الّمال،فالحقيقة بدأت تصطبغ بتلك



الألوان الزائفة التي جعلت منها باطل من وجهين الأول كونها لم تُقبل،والثاني اعترافهم بأنها مجاملة لا مجال فيه،لا أعرف ماذا أقول؟فقد اقترفت النفس ذلك الخطأ الجسيم والذي بات يتغلغل داخل هذا الجسد،فالعادة أن لم يتركها الإنسان باتت السلاح الذي سيقتل فيه نفسه يوماً ما،فلا أُحب أن يقال مات وهو يفعل كذا وكذا،بل أُحب وأطرب عند سماع ذلك إنه مات على كذا وكذا.

كل ما نظرت إلى تلك الصورة أيقنت أني لم أُغيّر شيء ما دام أنيّ مُحبط لا طاقة به ليتحرك،فالأمر المزعج هذه الأيام أن لا تسمع الأنام وهي تأكل لحمك علانيةٍ ولكن الداهية أن ترى ذلك من أقرب الناس إليك،مُحزناً جداً إذا كان القريب هكذا فما بال البعيدِ إذاً،أنا أعلم أن الناس لا يتشابهون ولا بد في يوماً من الأيام إن يلتقي الطيب الطيب فلا تدوم مصاحبه أولئك السفلة أو ما أُسميهم(فتكت السقب)، فهؤلاء لا ودَّ بهم ولا عطف حقيقي وإنما كل ذلك تمويه يستدرجون به أولئك الذين هم على نيّاتهم،في زمننا هذا بات هناك أشياء قديمة ذات معنى رائع ولكن اليوم شوّهوها لأسباب تافهة وقلة علمهم ونضجهم،صاغوا أقوال مضمونها إنشاء البغض وغرس الحقد وشحن البغضاء،فهل يُجدي بهؤلاء القضاء؟،فالضرب الذي سلكوه بات نوعاً ما اسمهُ الغباء وذاك هو الداء الذي اجتاح الفضاء،ما تتكلم الناسُ فيه بالسر أقسى وأقوى ألماً على النفس من المسموع علانيةٍ ،فالنفس مجبُولة على التأثير حتى لو أنكرت ذلك،فالحق أوضح من المخفي بشعره،لا أدري كيف ستكون حالتي غداً ولكنِّ أقول خير أن شاء الله،فأنا لازلت أرى انبثاقات الأمل تنبعث من كل ناحية لولا السراب الذي قادني إلى طريق لا نهاية لها،فلا هي ذات خيراً لي ولا هي ذات نفعاً يرفعُ بي الهمة ويزيلُ الغمّة ولكنها قد أضرّت فتاها فما



انفك منها إلا وهو مُحطّم الفؤاد مكسور النظر مجروح البدن،فاقد العزيمة كاسل لا يقوى على أمر فلا هو ثابت ليقاوم ولا مُقدم ليهزم ذلكَ السراب،فالأمر أشبه بمن دخل البحر وهو لا يعرف السباحة فقيل له أرجع يا فتى ولكنه وقفَ قائلاً لا حتى تداركه الغرق،فما كُدنا نرى إلا يداه اللتان تنفّساء ختام الهواء،ونزلتا حتى لم نرى منه شيء سوى ذاك الصوت ذو الفرقعات.

نظرت ذات يوم إلى نفسي قائلاً هل ستتغير؟ فقلت نعم ولكن متى ذاك أو ما أُسميه باليوم المنتظر،قد لا يسعني أن أراه فطلبي من الله إن أراه،أن أبتسم يومَ لُقياه، لا تحملُني أرض حينها ولا تمسكُ بي سماء،ها هو يشرقُ نور ذلك اليوم مُنبعث من باطن هذه الأرض الشاسعة لكنهُ خافت هوَ أشبه بنجمه أبصرتها ثم ما أن صرفت نظري عنها إلا وقد ضاعت بين تلك النجوم،هل يكون المتفائل مهموم؟،أم إن فِقد ذاكَ أصلاً معدوم،فأنا قد آنستُ به صاعداً إليه ممسك به حتى أطمئن،مالي وقد اعتراني شعور أهجد العزيمة،وتثاقل منها حتى عزمَ على الرجوع،أهذا فعلاً ما أوجسه منه! أم لا نية له بذلك الإقدام،فالسهل لمن سهّل الأمر،والصعب لمن صعِبة عليه وهي بمنزلة السهل ألا أنه عازم وقد حزم الأمر إلا بها أو دونها ولا آخرها،قد يكون مبدئي هذا غريب ولكنه بمنزلة طباق الأمور ومقابلتها،فلا زال الإحساس ينبض ويتحرك بقوة،لا أدري ما موجبه ولكني أعلم أن هناك دافع قد دفعه إلى ذلك العمل،قد يصنع الإنجاز إنسانٍ ولكن هل يصنع الإنسان إنجازاً؟، أتُلاحظون ما أقوله ،فالنفس مضطربة لا تعي ما تقول،تُقلّب الأمور وتصنع الحجج وما أرى من ذلك شيئاً أنبلج،رؤية ليست مكتملة،وسلو نازع،ومودة شائبة،وعطف مصطنع،





ورحمة لا وجود لها،وغربة أشبه بقفص لا مخرجَ منه،جوع خلفه جوع ومن فوقه ألم وفوقه يأس وقلة طاقة،فأين هذا الإنسان من الاستفاقة.

تنوعت الأسباب والحل وارد،فالحب أحد النوازع التي تنتزع منك قلبٍ لتضع بكَ قلب اصطناعي يعمل على ما وضعَ له دون شعور ومشاعر صادقة،مجرد من الصفاء ،فارغ كُلياً من نبع المودة،عازف على التسلية،دون الامتثال الفعلي الذي بصدده يكون الحب مثالاً يحتذى به،فالحق يُقال ولكن هل من أحد يسمع أو يُلقي علينا مثال؟،فالأمر الجاد سبيل إلى الرشاد،فقد دق الباب ودخل القلب كالمعتاد،هناك بواعث الإشراق،فالفرصة لازالت في محلها الذي تُركت عليه غير أن اتجاهها قد اختلف ولكن هيَ باقية إلى أمد ليسَ ببعيد،فالأمل مُشفق مما فيه،جاهر مما أصابه، فلا زال يتكلم بحق ولكن ما من أحد يستجيب لذلك،فالإقدام على نيل ذلك السكون أصبح شبه مستحيل ولكنه وارد من حيث تجهيز نفسه،وشحن الهمة بالعزيمة،ودعم النفس حتى تقوى على المقاومة،فقد أتكلم بصراحة ولكن كما يقال جواب واضح خير من جواب فاضح،ولهذا لا أميل إلى تصوير تلك الأفعال بأمثلة لا تمدُني بصله وإنما أطمح إلى توضيح صورة هي في الأصل حقيقة ولكنها مُلطّخة بألوان زائفة وذلك بسبب واحد وهو الاعتراف الناقص أو شبه ناقص،فهو الأمر الذي دعا إلى حجر تلك الدلائل والميل إلى تحريف مضامينها دون النظر إلى العواقب،فقد طغت الكلمات واضمحلت بعد بروزها وبهاءها،فالصورة المرئية لم تعُد ذات رمزية بل باتت صورة سوداء لا تعنى معنى إلا ذاك الصوت المسموع المتحدث عن ماضي وآلام لا أصل لها في تاريخ حياته،سأظل أُسجّل هذا التاريخ بقلمي الثابت وصوتي الغير مسموع،لذا سأختتم قولي بـــ:





عذّبوني يوم أنـــا قلبي حزين وجرحوا نفساً عزيزة عنــد أهلها

وجرحوني رغم معرفة الأنيـن ومسحوا عنوان صفحة هو عملها

لم تنتهي القصة المليئة بما هو محزن ومفرح،فهي لم تصل بعد إلى بر الأمان،فلا زالت تخوض معاركها مع البحر،عندما انظر إلى ما حصل قبل فترةٍ خلت أجد نفسي في حبور دائم،وابتهاج هو ما بين الأبدية،فالماضي على الرغم من سكاكينه ألا أنه حافل بما لم يكن اليوم حيّا،فهو بين الانبساط والانضغاط،فالحياة فيه أشبه بعصافير شجرة بينما الحياة بعده أشبه بالتنور لا مفر منه ولا من لهيب ناره فما بعد ذلك الحياة،ولهذا كان التفكير مشوش غائب عن الواقع لحيناً من الزمن،فأنا عندما انظر إلى واقعي التحسّف على ما أصابني وأنا أعلم علم اليقين إن ذلك ثمرتُ يداي،يا حبذا تلك الأيام فهي أيام الربيع وذلك لنقائها وخلوها من كل شائبة، لم يعُد الوضع الحالي مُطمئن لهذا رضا بالعُزلة،وقاطع الناس لأسباب كثيرة وعلل ليست قليلة فما أخذه من هذه العُزلة سواء الخوف والخجل الذي لا أقول عنه مفرِط،ولكن بدأت حالة تلازمُه بين الحينُ والحين،لذا أجزم على لزوم الصمت،وأن لا يتحدث إلا وقت الضرورة،فالخوف قد تمكن منه حتى صار شيء يشعر به بل هو كالخفق في خفقه، فالقصة الجميلة باتت لوحة تُعبّر عن إنسان مُنهزم وأصبحت هذه القصة حزينة بدرجه أكبر مما كانت عليه وذلك قبل بلوغه الحالة القصوى،لازال يُكابد لكي يخرج نفسه مما أقحمَ نفسهُ فيه ولذا فهو طريح البيت،مُشغل نفسه بالقراءة،عاكف على التأليف،مستغرق في تلك الأحلام الوهمية،فما الصلة التي تمدّهُ بها إلا أنها تُخفف من ذلك التوتر الناجم عن سبب فعلي حادث أثّر في النفس حتى أنها لم تخرجه فأخرجَ نفسه بنفسه مما أدّى إلى حدوث تلك الأسباب التي قد صرّحت سابقاً بالجواب،



فهل من ناظر إلى هذا الإنسان؟قائم على مساعدته،مُصر على إخراجه من هذه الدائرة التي زج نفسه فيها رغماً عنه وبسبب جهله،فهو قد أكتشف أنه مصاب ولكن ما يمنعه أكثر هو ذاك النازل من الناصية مُبلل الوجه،كاتم الصدر،رافع لحرارة جسمه،مُشعرهُ بضيق المكان،ولهذا لجأ دائماً إلى الهرب،فهل سيظل يهرب إلى الأبد؟،لا أعلم كيف ستكون حياته،وكيف يعيشها ولكن أعلم أنه يقاوم،وسأظل أقاوم حتى تُشرقُ حياتي بنور جديد لا يُخالطه بهيم.

لازلت أتكلم بصوت شبه مسموع لكنه ذا ضوضاء على هذه الورق،فما أعنيه هوَ صوت الألم والوحشة والعُزلة التي باتت سجن انفرادي لا لجةَ به،فما هناك إلا أنا قابع انتظر ذاك النور الذي قد أصبح مستحيل دخوله،ولكن ما أسعدني هو قدرتي على موازنة ذلكَ المكان والتأقلم معه،فكل ما انظر في المرآة أرى ابتسامة شبه واضحة ولكنها تُبشّر بالخير القريب،فالكلمات الجميلة أمست قصد كتاباتي وصوتها المسموع داخلي،فهي وإن كانت شجن ألا أنها موسيقى عذبة لا مثيل لها على الإطلاق،فالحياة وأن بدأت تكثر فيها العثرات ألا أنها لا تصفو لأحد،لهذا أيقنت أني خارجاً من تلك الدائرة يوماً ما سأكون حُراً لستُ تحت رحمةَ أحد،كل ما انظر إلى ذلك اليوم ابتسم حتى تبرز أسناني ويملأ صدري نوعاً من الطمأنينة التي لا تزول إلا بمجرد خاطر يمر مروراً مسببٍ بذلك قلق وشبه حزن مستمر،فالأمر لازال يشبه كرسي هزّاز حتى مع توقفه يستمر القلق،لا أعرف كيف أصف حالتي ولكنها مُزرية جداً،كل يوم تكون فيه أسوأ من اليوم التالي،فالشقاء يسير بجانبها دائماً بل أنه أصبح رفيق دربها لتكتمل بذلك الدائرة شقاء وقلة توفيق وألم حاد وعُزلة أشبه بصحراء قاحلة ووحشة أشبه بكون لا نهارَ فيه وغربة على الرغم أن الجميع حولي،





فلا أشعر بوجودهم الفعلي ولكني أشعر بإساءتهم الوقحة،عيشة لا أدري متى ستنتهي لأكون حُراً بإرادتي دون الغير،فالأيام لازالت تتسابق وأنا لازلتُ واقفاً في مكاني قائلاً كل يوم غداً غداً أفضل، فلا أرى ذلك إلا تسويف لا نفعَ منه ولكن ضُرَّ به،فالأحلام المزعجة لم تعُد تراودني بعد فقط هممت أن لا أعاود الكرّة مرةٍ ثانية،وبذّات ذلك الفعل الذي لازمني فترة طويلة،على الرغم من نسيانه ألا أنه بمجرد تذكّره أو رؤية ما يُثيره يُعاود الرجوع مرةٍ أخرى لولا الطرد الذي لجأتُ إليه لكي أتخلّص منه على الإطلاق،ها هوَ بات لا يؤثر إلا بمؤثر.

قد امتلئ ذلك الجوف بكل ما هو مفرِح ومحزن،ولهذا أصبحت الهموم أكبر حتى أنها شاخت،فلم يعُد هذا الإنسان قادر على مزاولتها ومقاومتها فهي قد أضحت قوية لكي تتغلب عليه،فالأمر المهم هو أنه استسلم بكل بساطة دون منازعة وقتال، إذا كنت لم تتأهب فلماذا إذن الإقدام؟،لا أعلم ما أُفكر فيه فالأفكار كثيرة جداً مختلطة لدرجة أنّي أُفكر بأكثر من شيء واحد فهي كلها متداخلة ولا جدوى لإيقافها إلا عند النوم هُنا تبدأ الذاكرة بحالة هي شبه ساكنة على الرغم من عملها اليسير،فالوضع الذي بتُّ أعيشة لا يُطاق،لا أعرف كيف تحملت هذا طيلة تلك السنوات الست،ولكني أعلم أن هناك شيء حملني على الصبر والتحمل،فالأيام بنسبةِ لي سنوات قد خلت خلفها معالم هذا الإنسان وصِوَره التي باتت تمثال يوحي أنهُ هو على الرغم من معرفةِ ذلك،فالحقيقة بمرور تلك الأيام قد دُفنت بلى سبب يدعو لذلك،إنما الأمر الوحيد الجاد فيه هو اعترافه الناقص الذي قد طغى عليه تعبير النفس لا الواقع،فالحالة لازلت تشتكي من صاحبها الذي أهملها وتركها على حافة الهاوية،فأنا أعلم أنها قد أزِفت وقد حانَ وقتها ولكن لا جدوى وإنما قد فاضة



العدوى،ها هي ترسم لنا لوحة على رمال شاطئ ذا أمواج لا تعرف السكينة،ورياح لا تعرف الاستقرار،وجو لا أعلم أهو النهار! أم الليل،فالكلمات المعبّرة تعجز عن وصفها بدقة فالرؤية لازالت غير واضحة والألوان داكنة،لا أعلم أن كانت تلك حقيقة أم خيال ولكن ما أعلمه هو أنّي واقعاً بذلك لا محالة،فالوضع مُزري والحالة تهري،فالعيون لا تعرف الدموع إلا عندما تضحك،والصدر لا يعرف الضيق إلا عندما يسمع،والقلب لا يتألم إلا عندما أتذكر،والجسد لا تُشل حركته إلا عندما يثقل هذا القلب مما به حينها لا أقدر على النهوض.

منك الفرج يا الله وأشراح الولوع عبـــدك ضعيف والهموم أكبرت

والحزن غيمه وأفراحـــي شمـــوع لحظة ولحـظة واللحظة انتهـــت

لم يختل المعنى رغم الانسجام الذي تعدّى حدوده وصار شبه انسجام لكنه معنى ثابت بمقصوده الذي يوحي إلى الحقيقة القاطعة ذات الانطباعية تجاه النفس وما يُخالجها من إطراءات عدّه،فالكلام أصبح اليوم ذا غرابة نوعاً ما ولكنه عاود إلى الوضوح بعدما بدأ بخط رسالته الصامتة التي تتكلم عن تفاصيل حياته الشقية، فالمراد من الوضوح تصوير تلك الحقيقة بصورة توحي بمعنى انسيابي منسجم لا معنى مضطرب الاتجاهات رغم وضوحه وبيانه وجوابه العام،فالحقيقة لازالت تتكلم بوجه صريح تجاه الواقع ولكن الخيال لازال يرسم لوحة لا تمد الواقع بأي صلة،فالأمر أشبه بكتابة إجابة سؤال لا صلة لها بالمعنى الذي يوحيه،فأن كان الجواب خطأ فأنه يسير في مسار لا واقعَ به،وأن كانت الإجابةُ صح فأنه يسير في مسار فيه واقع وخيال لا يخرج عن غلاف الجو،فالكتابة مضطربة متعثرة لا معنى منها،فالكلام بات



لا يوحي بمعنى سارب يُفهم ولكنه سلك طريق بين الغموض والإخفاء المُدعم بالرموز،فالمعرفة التي أقصدُها هي الرسالة التي أكتُبُها لذا فالحق يقول الصراحة لا تعنى الجواب الأكيد فلا زال هناك أسباب خفيّة بين القلب ونبضه،فالكلام الجميل يرسم نفسه دون إن يكون هناك صله من جهة القائل فهو يخرج من تلقاء نفسه مثلهُ مثل أي كلمة جميلة خرجت دون شعور من صاحبُها،أنا لا أعي ما أقول فما عدتُ أفهم كلامي الذي بات يسلك طريق غير واضح وفيه اضطراب بارز لا يُخفى على أحد،فالمعنى المفهوم هو الموصّل للحقيقة التي أعنيها فلا هناك داعي للغوص خلفها،فالأمر قد أشاد بالإضاحة،وأثنى على الصدق،ونادى بالصراحة المطلقة التي لا تُقيد تلك الأقاويل،فالانسجام عبر من خلال طريق مستقيم لا ولن تجد فيه اعوجاج أبداً،والانسيابية اتبعت ذلك الطريق رغم طول المشوار ألا أنها قد بلغت الغاية ووصلت تلك الديار.

أن اللوحة التي رسمتها تُعبّر عن حالة مُشبّعة بكثير من العلل،فالناظر إليها يستشعر معاناة هذا الرسام الذي استخرج إبداعه وصبّه في هذه اللوحة والتي أسماها رحلة بين الفرح والشقاء،فالكلمات التي وِصِفت بها الحالة قاسية مُعبّرة عنها بكل معنى،فالألم الرابض في جسده والرافض الدواء قد خرج جزءً منه على تلك اللوحة لكي يتكلم عن معنى مقاومته وصموده أمام هجمات أحزاب شؤمه هدفها غمّ هذا الإنسان وتكدير حياته،رغم الضحكة التي اختفت والفرح الذي زال،لازالت النفس تطربُ نوعاً ما عند سماع ما يسرّها،فالابتسامة أصبحت العلامة البارزة من وجهه العابس، فالوجه صورة متكلمة بصوت لا يسمعه إلا من عرف ذلك وميّز العيون،لا أتكلم عن ما يُغضبُني ولكني أتكلم عن ما يُسببُ لي ألماً حاداً يجرح ويُقطّع القلب في كل



حركة،فالكلمة التي أقصدُها باتت تظهر بوضوح،والمعنى لم يعُد مفضوح،فالسبيل الأول والأخير هو البوح.

وكم أمراً فعلتَ بنفسُكَ وأنكَ جاهلاً ما أنتَ فاعل

لم تختلف الكتابة عن سابقِ عهدها بل أنها لازالت على ما كانت عليه من افتقار وعدم تناسق وخروج تام في سياقها الهادف إلى الموازنة،فالكلمة لم تعُد ذات مدلول واضح بل أنها ذات دلالة متعددة فلا موصل إلى المعنى إلا فك ذلك اللغز المدفون الذي بات يجتاح مناطق رسالته،فدخوله فيها دون شعوراً منه فهو قد تسلسل إليها دون إدراك تلك هي الحقيقة في لخبطت الكتابة وضياع الكلمات عن مكانها،فلم تعُد الكلمة في محلها المناسب بل بات يلجأ إلى التشبيه والاستعارة اللتان خرجَ في بعض المواضع عن الانسيابية،فاليوم وبعد مراجعة ما سلف من كتاباته وجد أسباب كثيرة بعضها أردى بحياته وكان سبباً في ضياعها وفقد إيمانها ولكن الحياة مستمرة دائمة حتى تحين ساعة النهاية الأبدية للبشرية،فأنا قد عبّرت عن معاني قد خالجتني بل قد أزلّت هذه النفس مما دعا ذلك إلى تلك الوحدة المُصاحبة للألم القطعي والحزن الثابت،فالعبوس أصبحَ أحد المراسم الأساسية لوجهي،فقد غابت الابتسامة، ورحل السرور،وأهلك الهم الحبور،فنما الجوى والوجد حتى بلغ بذلكَ الأسى المفرط، ها هي الكلمات تعجز عن الوصف بسبب الاختناق الذي يكتمُ الصدر،والقلق الذي جلبَ الألم لمعدتي مما سبّبَ لي مجاري أخرى،فقد أكون أنا السبب بما حدثَ لي ولكني أعلم أن هناك أسباب أخرى لا تمُدني بصله لكنها ذات أثر بليغ عليّ، فالفكرة لازالت تجول في البال وهي الانتحار الذي صار يُراودُني في كل مرة،لا أعلم





ماذا أفعل؟،فقد يأس من هذه الحياة،وضاقت بي ضرعاً،وأضرّتني دوماً ولم أرى الفرح إلا ساعةٍ يسيره،آه كم اشتكي لأبكي،آه كم أبكي لأسمح دمعي،فأنا أعلم أنهُ لا أحد سوف يسمح هذا الدمع إلا أنا،آه كم تُراودُني فكرة طعن نفسي لولا أن هناك ما يمنع ذلك،لا أعلم ما هو ولكنه يرشدُني عندما أُريد قتل النفس.

لازلت أكتبُ الكلمات السامّةُ والعذبة ولكن ما طما منها قد أردى بالأخرى، فالحقيقة قد وِضِعت في صندوق مغلق بإحكام ومن ثمَّ رُميَ في أعماق البحر،فهل يا تُرى يستطيع الغوص لإخراج ذلكَ الصندوق؟، لا أعلم الأسباب التي جعلت الوضع يسوءُ أكثر ولكني عندما انظر إلى الأوجه الواقعة أجد نفسي أمام كم هائل من الأحداث ذات الأسباب والعكس صحيح،فالوضع الذي انظر إليه من منظور قاصر لا يتعدى حدود تلك الحقيقة بل أنه لا يُمثلها أبداً ولا يعنى لها معنى،فلا زالت الأوجاع تفترس جسده الهزيل،وقلبه المكسور.

يا هاجساً جالت بـه الأوهام	وأصبح محطة للأتقاط الأمـــاني
كم ليلةٍ مـــن الون مـــا نـــام	ومن الهواجس صرخته تعـــاني

فالحقيقة لازال نصفُها في داخلِ ذاك الصندوق الذي وصلَ إلى عمق تلك الأعماق ،فلا أعلم أن كان عليه استخراجها أو تركها لكي تبقى مخفية طيلة الدهر،فلم يئن الأوان بعد لكشفها ومحق المجهول منها،فالأيام على سرعتها ألا أنها بطيئة جداً فما نُلاحظه هوَ ما لا نُدركه إلا قليل،كلامي بات يخرج عن المضمون وصارا شبه وحل فاتك يوشك الواقعَ به على الغوص حتى الموت،لا أعلم لِما الكلمات بدأت تخرج عن مضمونها ولكني أعلم أنَّ لذلك سبب وأنا أجهله أو أتجاهله.



أعدمتَ نفسكَ حاسباً   أنَّ النجـــاةَ هي الـهــرب

&

يتكلم الصمت بصوت شبه مسموع ألا أنه ذا صدى واضح لمن يقرأه،فهو يتحدث عن قصة راويها عجز عن كتابتها فلجأ إليه ليكون الكاتب والناشر،لا أعلم كيف ستكون القصة؟ ولكني متأكد أنها مشوقه بكل معنى من المعاني،فالأمر الذي لازال يتحدث عنه هو ما كان في الأصل صلب الموضوع،فالحقيقة على الرغم من إخفاء بعضاً منها ألا أنها لدا البعض واضحة كشمس النهار وإنما ما يُعيق تلك الحقيقة ضوء تلك الشمس الساطع والحاجب الرؤية،فالكلمات الصعبة أشبهُ بأُحجية ذات فئات عدّه وخرائط تتطلب تفكير ومدة لحلها،آه كم سمعتُ صوت ينشدُ تلك الكلمات الجميلة داخلي،وآه كم أتذكر تلك الضحكات لأرسم على هذا الوجه الفرحة الغائبة،فالصورة الجميلة باتت شبه لوحة رسمها فنان قبل آلاف السنين،فهي ترمز إلى رداءة الحال وفقر صاحبها إلى الجمال،لا أُحطّمُ نفسي ولكني فعلاً مُحبط احتاج تلك الاستشارة لأعرف مدى أثر خطورة أذى نفسي،فالكلمات باتت واضحة،والرسالةُ دليلها بين السطور،واللغز الدفين أمسى اليوم عبارة أو كلمات مُتقاطعة لكنها ذات مسارات أشبه بحلقة ذات متاهات كثيرة،أنَّ مجرد التأمل في الأمر سوفَ تجد المعنى المقصود حينها أقولُ لك أنكَ على مقربةٍ من المنشود،لا أسعى إلى جذ الحقيقة ولكني مُتحفظ تجاهها بدقة حتى لو واريت بعضاً منها، فالأذى النفسي بات يجتاح الجسد حتى أنهُ صار يُديره،فقد بدأت الأمور تسوء ولا أعلم ماذا أفعل؟ على الرغم من معرفة الحل،ولكني لا أقوى على الذهاب إلى طبيب



فإني لازلتُ أرى الأمر سيئاً حالياً ولكن ما أعلمه أن الحالة يوماً بعد يوم في أسوأُ حالتها فهي من حالة إلى أخرى،من يقرأ ما أكتب قد يكتشف مرضي ولكن حينها قد أكون رحلت ولكني أعلمُ جيداً مدى جودة التحليل ومعرفة ما أسميته بـ(الجواب الجميل فيمن فقدَ الحيلةُ والحيل).

قد أهرب من الاعتراف الحقيقي ولكني سأقصد التكلّم لأقول ما يجول في هذا الخاطر من مشاعر مُتناثرة ذات شعور غريب ولكنه قوي نوعاً ما،فالألم الذي يظهر من خلالها يكون أشبه بغرس مسمار في جسد،قد يكون حينها الشعور مُؤلم ولكنه يخفف من تلك الآلام الجمة والقابعة في هذا الجسد البريء،فالمعنى الحقيقي لكل تلك الكتابات هو السر الذي تكون به الغاية،فالوضوح باتَ يُشكّل صورة رمزية ذات دلائل عدّه وأوجه تختلف باختلاف مضمون تلك الكلمات،فالأمر أشبه بكتابة قصة قصيرة فلا أعرف كيف ابتدأ؟ هل أتكلم بشكل واضح؟ أم أجعل من هذه القصة معنى يوحي أنّ هذه الفكرة حقيقة وقد حدثت بالفعل،لازالت الكلمات تحاول الاجتماع لكي يكتمل بذلك الجواب الشافي.

لازال الشعور يتحرك يتكلم ويُعبّر عن ما يُخالج هذه النفس من اضطرابات قد أردت بها جداً،فالحالة المعنوية باتت تُعاني من صداع شديد نوعاً ما لدرجة أنه يُريد الصراخ حتى يخف ذلكَ الألم الرابض في الجوف،فالكلمات باتت تخرج موحيةٍ إلى لغة هي أقرب إلى الضمير لكنه عاجز عن إيضاحها،فأنا لا أدّعي عدم المصداقية ولكني أحاول أن أكون صادق لأُعبّر عن ذلكَ الشعور المؤلم،فالأمر بنسبةِ لي أشبه بسكين التقطتها يدي ثم هممت بإدخالها في يدي اليُسرى قائماً بعد ذلك بتحريها





رويداً رويداً ففي ذلك شعور بالراحة المعنوية والحسية.

لازلتُ أكتب حديث هذه النفس المُحمّلة بتلك الشحنة الثقيلة والتي باتت تُتعب الجسد نفسياً وحسياً،فالحكاية بدأت مع تلك المشكلة عندما كان عمرهُ الرابعةُ عشر فقد تلقّى قبلها إرهاصات جعلته يلزم المنزل،ولهذا السبب بات لا يخرج وأمسى يعتزل الناس خشية أن يروه فيطلبوا منه نفس الطلب الذي جعله لا يُخالط أحدٌ بعد ذلك،فالقصة طويلة وأنا لن أتطرق هُنا إلى ذكرها من الحدث إلى الحدث ولكني سوف أقوم بتفصيلها على طريقتي،فالأمر الذي سأذكرهُ لن أُسهبَ به حتى لا يخرج المحور عن مساره ومضمونه،فلا بد من الانسجام الشبه دقيق ولكنه ذا طريقة أشبه بشرح غير مكتمل ويتطلب بعد ذلك تفصيله بطريقة انسيابية،فالخواطر التي كتبتُها قد تحدّثَ بعضها عن تلك المأساة الحقيقية والتي سطّرت أغلب الصفحات عنها دون خروج الموصول عن الأصل،فلا زال جرس تلك النبضات يدُق،ولازالت تلك الكلمات تتغنّى بصوتها الهاتف والشجي فهي لغة استحكمت فصولها وأصولها حتى تظل ثابتة لا يُزيلها شيء أبداً،فالصورة الجميلة لازالت جميلة بمعنى كل كلمة لأنها باقية على هيئتها فهي كما الروح،وإنما ما يطرأُ عليها من تغيير إنما ذلك بسبب النوازل التي حلّت بها.

أفرغ وريدكَ من هماً وأحزاني   ونم نومَ قرير العـــين فـرحاني

وقل ابتسم فالأيام مختلفـــة   فيها من الألوان ما قد جاني

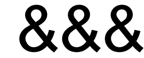
لا أعرف أن كانت الحقيقة مُرّة ولكني أعلم أنها سهم يصعبُ إخراجه من الجسد إذا أصابه،فهي مؤلمة إلى حد كبير ولكنها مُريحة إلى حد أكبر،لأن فيها نتجنب



أشياء ونعرف بها أشياء نحن جهلنا عنها ولكننا نعلم أنها بِنا،فتجاهلنا لها لا يعنى عدم معرفتها فقد يكون استحقارها أو نبذها بعيداً كي لا تراها العيون ولكنها قد رأتها وأدركتها أيضاً حتى برزت كالشمس ألا أنَّ هناك من ساعد على حجبها ولكن قليل جداً.

قال فهد الربابين:

قـــلتُ لنفســـــي اعتـــرف
فالقلب أصبحَ ضيّــــقُ
فالألف تعنـــــــي استـــرح
والراء يعني أفرحــوا
لا تكتمـــــاً بخاطـــــرك
شيئاً يُعُلُ ويرهقـــوا
أن الحياةَ تبسمـــــــــت
والطير فاسمع ينشدوا
أفرغ وريدكَ قـــــائــلاً
الله يعفو ويرحمـــوا
أثقلتَ نفسكَ بالتـــــــي
شغلتك قلت استغفروا
لا لـــم تكـــن صـــادقاً
بالقول حتى تخلصوا
يا قلب أنطــــق قـــائــلاً
أن الذنوبَ تموتـــوا



لا أعلم أن كان هذا الختام ولكني أعلم أنني سأكمل قصتي يوماً ما.



تأليف: فهد بن مشعان بن مرزوق الربابين

درس في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في حارة الأشهب.
وحالياً طالب في جامعة طيبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية

تاريخ الميلاد 19/4/1991م.

